

«المتحر» يقول ما لا نستطيع سمير الباشي لـ«الوطن»: أحببت أن أعرف المشاهد على نص مسرحي خاص



سوسن صيداوي

«في هذه الأيام يقول الميت ما يعجز عن قوله الحي». بالفعل ضغوطات الحياة ومشاكل الدنيا والظروف السياسية والتاريخية، كلها تجتمع كي تخلق حالة في الإنسان أينما كان في أي زمان وفي أي مكان، وأيضاً أمر طبيعي أن يتحمل وزر نتائجه من حروب، وبالمقابل أن يقتل ويفكر ويشعر كنتاج عنها. إذاً فعل مصائب الأزمات واحد، ومستقبل رد فعلها كذلك أمر واحد واقع على الإنسان.

واليوم الجملة التي بدأنا المقدمة فيها والتي تقولها شخصية أريستارخ دومينوكوفيتش جران-سكويك هي من نص مسرحية «المتحر» للكاتب نيكولاي إيردمان، الذي توفي قبل أن يشاهد نصه منقداً وحياً على خشبة المسرح. وفي هذه الفترة شهدت مسرحية «المتحر» عروضها على مسرح الحمراء بدمشق، حيث اكتظت الصالة بجمهور جاء ليرى أمرًا مختلفًا من حيث النص الذي اختاره مخرج المسرحية الدكتور سمر عثمان الباش، قاصداً ما فيه من إسقاطات وقرب بالاسم الواقع السوري الذي نعيشه، وكي يكون مفتاحاً لبوابة وراءها طريق مفتوح لضرورة الحوار والوصول دائماً لصيغة من التفاهم، مع قبول كل الأفكار الجديدة حول أمور هي من جوهرات الحياة كالفن والحب والدين والسياسة. والمسرحية مختلفة من حيث النوعية، لأن من قام بالتمثيل أربعة عشر ممثلاً خريجاً في مدرسة الفن المسرحي وهم: عبد الله وفاثي، تاتيانا أبو عسلي، يزن دخل الله، شادي درويش، لميس محمد، كرم حنون، غيث الأدهمي، ياسمين الجبالي، يزن مرجعي، ليث المغربي، باسل دعبول، منيار الجبالي، فايز أبو شكر، وخالد حمزة. وفقوا لأول مرة وفقة حقيقة على خشبة مسرح يدفعهم للاعتراف، قبالة جمهور رحب بهم وباندفاعهم وقدرتهم على إثبات النفس بعد تدريبات على نص تم اجتزاؤه - لضخامته- وتحليله خلال ثمانية أشهر. تجدر الإشارة إلى أن العرض استمر يومياً لمدة ساعتين ونصف الساعة من يوم ٢١ لغاية ٢٦ تشرين الأول.

النص خاص وكرنفال للأفكار

تحدث مخرج المسرحية الدكتور سمر عثمان الباش

عن نص المسرحية وسبب اختياره هو بالذات، مؤكداً موهبة الممثلين الشباب وأنهم تقدموا اليوم من خلال هذا العرض للجمهور منطلقين نحو الاحتراف، قائلاً «اخترت هذا النص على التحديد للكاتب نيكولاي إيردمان، لأنه بقي متنوعاً لمدة خمسين سنة من العرض، كما توفي الكاتب عام ١٩٧٠ ولم يحضره منقداً على خشبة المسرح، ولأسف بعد وفاته وفي الثمانينات بدؤوا يعرضونه، وبالنسبة لي أنا أحببت أن أعرف المشاهد العربي على نص كهذا، فهو خاص جداً، وباختصار يمكن القول إنه كرنفال للأفكار. قصة المسرحية بسيطة، وهي أن رجلاً يتحدر من أجل قطعة سحوق، ولكن ما تخفيه القصة أكبر بكثير من ذلك، فالعمل يطرح أسئلة لها علاقة بكل الأفكار والأيديولوجيات التي امتدت في بداية القرن العشرين، وهي أفكار ظهرت نتيجة ضغوط متعددة، وفي وقتها بدأ الشعب يعيش حياة جديدة بظل النظام الشيوعي، وكنتيجة للظروف تختلف الأمور على الإنسان، لهذا جاء التعبير في المسرحية عن الحالة، بأن يكون الديكور محصوراً، والمطلون يجلسون بما يشبه الصناديق، وهم خائفون من الخروج وبخشونه على الرغم من أن المكان مفتوح لهم. هذا الواقع هو مشابه لما نشهده في سورية في أيام الأزمة، فسورية كبيرة جداً، ولكننا نعيش محصورين في بيوتنا. إذاً المسرحية تلامس الواقع السوري بشكل

بين فئتين وفئتين

بدوره شرح لنا مساعد المخرج خوشناف ظاظا عن بعض ظروف العرض قائلاً: «تم اختيار هذا النص من المخرج الدكتور سمر، وهو جد جميل وخاصة في هذه الظروف، لأنه ملامس للشعب السوري حتى لو أن ظروفه وقعت في الاتحاد السوفيتي. في البداية تمت التدريبات في المدرسة، ولكن البروفات النهائية كانت قبل عشرين يوماً من العرض في مسرح الحمراء، وبصفتي مساعد مخرج، وظيفتي هي التنسيق مع الفنانين والمخرج، ومع الفنانين من إضاءة وديكور، الأخير الذي تحمّل الكثير من الاقتراحات سواء من المخرج أم من المصممين».

الشخصية جد أنانية

من جانبه ألقى الممثل شادي درويش الضوء على دوره في شخصية «الكسندر بيتروفيتش متحندا أمثل دور رجل مستقل، ومصطلحه فوق الجميع، وهو من الأشخاص الذين يحاولون كل الظروف المحيطة بهم كي يستفيدوا منها وتكون لفائدتهم، وعنده درجة كبيرة من الأنانية، وبالنسبة للتدريبات استمرت لحوالي سنتين في مدرسة الفن المسرحي، ونحن اشتغلنا على هذا العمل وتعبنا كثيراً، ولكن هذا الجهد والتعب كان جميلاً، ونطمح أن تكون عند حسن ظن الجمهور».

«المتحر» تجربة كبيرة

تحدثت الممثلة تاتيانا أبو عسلي عن شخصيتها في المسرحية «ماريا لوكيانوفيا»، وهي زوجة المتحر، البسيطة والعاملة والفقيرة التي تعاني اختئاباً، والمضطرة كي تعمل لأن زوجها عاطل من العمل، وتتابع «أنا زوجة المتحر الفقيرة والبسيطة والعاملة، فزوجي عاطل من العمل زمن الاتحاد السوفيتي الذي تحول فيه الأشخاص إلى الآلات. والمسرحية تتكلم عن قولبة الأشخاص بشكل عام، فكل الأشخاص منبئين وهم في الوقت نفسه أيضاً ضحايا. منذ ثمانية أشهر ونحن نعمل على المسرحية، التي هي لنا تجربة كبيرة، وخصوصاً أنها من حيث طبيعتها ليست بالسهلة مطلقاً، فنحن أربعة عشر ممثلاً، ومن بيننا من لهم في المسرحية أكثر من شخصية، وكان هناك الكثير من الضغوط حتى في الإكسسوارات والإضاءة والديكور، هذا غير تحليل المسرحية، وأنا أشكر دكتور سمر لأنه منحنا هذه التجربة، لأنه عندما يخرج الطالب بمشروع صعب، يكون قد انخسر على نفسه العديد من المراحل، وبالطبع اللغة العربية الفصحى من الأمور الصعبة في المسرحية، ولكن هذا الأمر تدرّبنا عليه جيداً وأصبحت قادرين على التعبير باللغة الفصحى».

الذهب بين النقد والمجوهرات وبين طموح الإنسان

التحلي بالذهب من شأنه إعادة الشباب وإطالة العمر وإكثار النسل، كما أنه هذا الذهب يضيء على حامله مزيداً من العافية والصحة. ومن الناس من يذهب إلى أن يمكنه أنه يرد عين الحساد والشامتين. وإذا كان للمرأة أن تزين بالهلي والمجوهرات، فقد اكتفى الرجل بالترزين بخاتم من الذهب، واقتصر تزين الرجل على معدن الفضة، وربطوا ذلك بأن تزيد الرجل بالذهب والتحلي به، سمه من سمات التخنث، وهذا أمر لا يليق بالرجولة، ومنه ما يربط عزوف الرجل عن التحلي بالذهب بالاستعداد أن لمعدن الذهب مغناطيسية من شأنها إضعاف الرغبة الجنسية عند الرجل. ومن جهة أخرى، لا بد من القول: إن ما يلحظه المرء في محال الصياغة بدمشق من روائح الحلبي والمجوهرات إنما هو دليل على عراقة هذه المدينة بحرفة الصياغة



أكان ذلك من الذهب أم الفضة. وإذا كان لمعدن الذهب ذلك الدور في صياغة الحلبي والمجوهرات فقد كان لمعدن الفضة دوره أيضاً. ذلك أن معدن الفضة من المعادن الثمينة، وقد كان له شأن في مجال الحلبي وهذا ما جعل من الضرورة بمكان العمل على ضبط معايير الفضة للحفاظ على مكانته بين المعادن الثمينة وخاصة ما كان لهذا المعدن من سهولة الانصهار والتذويب، وقد دخل معدن الفضة في مجال الحلبي النسائية وكان منها الأساور والعقود والأمشاط، والقطع التي تزين الملابس وخاصة صدر هذه الملابس، ونظراً لرخس سعر الحلبي المصنوعة من الفضة فقد ساعد ذلك على اقتناء الحلبي الفضية من شريحة أكبر من شريحة اقتناء الحلبي والمجوهرات الذهبية.

وقد تأثر اقتناء الفضة لدى الكثير من الناس، بعد انتشار الحلبي والإكسسوارات النسائية التقليدية، كما تأثر استخدام الفضة في مجال صياغة أوران وتحف تدخل في الاستعمالات الحياتية والمنزلية ودخوله أيضاً في أعمال الديكور الحديث، وكان للصاغة سوق خاصة لحرقهم (كارهم) وللصياغة شريحة لهذه الحرفة على غرار ما كان لسائر الحرف (الكارات) الديمشقية من شيخ كار لكل حرفة يعمل على المحافظة على أصول الصنعة وحماية الحرفة من الأغرار، أو سوء الإنتاج. أما موضع سوق الصاغة، فكان جنوب البزورية من ناحية جهة الشمال وكانت دكان الصاغة على قسمين، القسم الأول للتصميم والتصنيع والقسم الآخر للعرض، ثم أصبح التصنيع خارج دكان الصاغة ولاسيما بعد أن انتشرت محال دكاكين الصياغة في أنحاء متفرقة من مدينة دمشق، وهذه المحال للعرض فقط.

لذلك كان من التقاليد حتى عهد قريب اعتبار الحلبي والمجوهرات جزءاً أساسياً من مهر العروس، وهي ترتبط إلى حد كبير بالمكانة الاجتماعية لكل من العروسين، وبالتالي فقد أصبح بالإمكان التمييز بين أشكال وأنماط الحلبي المطلوبة وفقاً للمناسبة التي تقتضي من أجلها الحلبي، وأن رواج اقتناء الحلبي لدى الشرائح الاجتماعية ذات الفعالية الاقتصادية أكثر رواجاً من الشرائح الاجتماعية الأخرى.

ذلك على سبيل البذخ أم الترف أم على سبيل الرغبة بالتباهي أمام الآخرين، لأنهم يرون أن الحلبي والمجوهرات مرآة يعكس عليها المفهوم الجمالي، ولذلك فقد كان على صانع الحلبي (الصانع) أن يبيع ويبيد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، من أجل تلبية الطلب المتجدد على الحلبي والمجوهرات لجميع المناسبات الاجتماعية كالأعراس أو المناسبات الروحية لما كان لدور الحلبي والمجوهرات في حياة المرأة في المدينة أو الريف.

وإذا كانت المرأة تحرص وتحافظ على ما لديها من حلبي ومجوهرات فليس ذلك من أجل الزينة فقط، وإنما اعتبار هذه الحلبي والمجوهرات ذخراً إلى وقت الحاجة أي بمعنى أنها زينة وخزينة.

مثير كيان

يعد الذهب من أكثر المعادن الثمينة التي شغلت بال الإنسان وقد حرص الإنسان على امتلاك الذهب منذ فجر التاريخ، لما امتاز به هذا المعدن من عدم التأثر بظروف البيئة وطواعيته للرق والسحب والمد والتطريق، وقد بحث الإنسان عن الذهب في مجاري الأنهار ومصايبها، وفي باطن وقشرة الأرض وفي العروق الصخرية.

وهذا البحث الدؤوب عن الذهب رافقه نزوح الإنسان إلى التجمّل بالذهب، فالإنسان بطبعه محب للجمال لنفسه وفي عيون الآخرين، ومن جهة أخرى فإن الوثائق التاريخية تذكر أن للكنعانيين الفضل في استخدام الذهب في التجارة، يوم كانوا في رحلاتهم التجارية يبادلون على بضاعتهم بالذهب، فضلاً عن تزويد الصناع بالمادة الأولية من الذهب لصناعة الحلبي. وقد عرفت سورية صناعة الحلبي في أنحاء متفرقة، كاللاذقية وأنطاكية ودمشق، ومنها ما كان يعود إلى ما قبل الميلاد.. وتجدد بالتحف الوطني بدمشق نماذج لروائع الحلبي التي قام بصياغتها صياغ سوريون من مختلف العصور الإسلامية ومن ذلك: العقود والأقراط والأساور والخلاخيل، وهذا يدل على مدى تذوق الإنسان في سورية للحلي وإقباله عليها. ويذكر الخبازي بالقرن الثاني عشر للميلاد، أنه كان على يسار الخارج من باب جيرون (الوفرة) للجامع الأموي سوق يعرف بسوق الذهبين.. وقد عند الصناع بهذا السوق إلى صنع أو صياغة أكوام من الذهب والفضة، وابدعوا المزيد من الحلبي النسائية، أكان ذلك من حيث التقن أم الشكل الأنيق لكل منها.

وإذا تأثرت صياغة الحلبي بما تعرضت له سورية على يد التتار والمغول، وبما أخذوه معهم من مهرة الصناع من المهن، فإن صياغة الحلبي ما لبثت أن استعادت نشاطها بعد استقرار البلاد. ومن جهة أخرى فقد لعبت الحلبي والمجوهرات دوراً كبيراً في حياة الحلبي لأنها تعبر عن مفاهيم الإنسان الجمالية، وكما تعبر عن الذوق الفني. وقد ذكر الأستاذ بشير زهدي أمين المتحف الوطني بدمشق مجموعة من العوامل التي تربط الحلبي بأنماط الحياة والمعتقد والمثولوجيا، وعلاقة ذلك بالإقبال على اقتناء الحلبي والمجوهرات، فضلاً عن الرغبة في التجمّل بالحلي والمجوهرات هذه الرغبة التي تعد من الأمور التي فطر عليها الإنسان، أكان

«تقنيات من البيئة».. رسائل وأهداف توعية للحفاظ على البيئة



الحسكة - دحام السلطان

أظهرت حجم الضرر الذي أصاب الواقع البيئي ولحق به في المحافظة، ولاسيما بفعل وجود المجموعات الإرهابية المسلحة التي دمرت كل ما تحتويه الطبيعة من الوان بيئية، كما قامت تلك المجموعات بتكرير النفط الخام المسروق الذي كان له بالغ الأثر السلبي على مختلف أشكال الحياة، داعياً إلى ضرورة تكاتف جميع الجهود في المجتمع لإعادة تأهيل وترميم وتحسين الواقع البيئي وصيانتته. بدوره أشار رئيس مجلس إدارة جمعية سورية اليمامة سعيد خضر إلى الأهمية التي تناولتها مقتنيات المعرض ودورها البنوي في زيادة الوعي المجتمعي، مؤكداً ضرورة الحفاظ على البيئة، مبيّناً أن المشاركة في المعرض ضمت مجموعة من الفنانين من أبناء المحافظة والوافدين إليها من المحافظات الأخرى، الذين أظهر كل منهم القدرة المميزة لتحويل مخلفات البيئة المهملّة إلى أعمال فنية لاقت قبولاً ملموساً من المتابعين الحضور. وأشار الفنان نامر الشاكر إلى أنه شارك في المعرض من خلال عدة أعمال فنية من مخلفات البيئة بالاعتماد على مواد «النايلون والكرتون وضفاف النحاس والألنيوم» من خلال إعادة تأهيلها لصناعة مجسمات وأشكال فنية منوعة، إضافة إلى تقديم عدد من الفنانين أعمالاً مشابهة ولوحات فنية تعبر عن أهمية الحفاظ على البيئة وإعادة تأهيل بعض جوانبها المتضررة. وفي سياق آخر قامت جمعية سورية اليمامة بحملة توعية للكشف المبكر عن سرطان الثدي عبر نشر وتوزيع إعلانات ورقية في مركز المدينة تظهر أهمية الكشف المبكر عن هذا المرض، كما أقام فرع اتحاد الشبيبة محاضرة طبية توعوية في المركز الثقافي للدكتورة شادن الخالد عن مرض سرطان الثدي تم خلالها تزويد النساء الحضور بالمعرفة المطلوبة لإجراء الفحص الذاتي للكشف عن المرض وضرورة مراجعة الطبيب المختص في حال وجود أي شكوك بالإصابة، مشيرة إلى أن المرض لا يشكل تهديداً على حياة المساب في حال الكشف المبكر عنه إذا تلقي العلاج المناسب بشأنه.

تناول المعرض الفني البيئي الذي دعت إليه كل من مديرية البيئة في الحسكة وجمعية سورية اليمامة الخيرية، عناوين وقاطاً مهمة تحمل كل واحدة منها العديد من القضايا والتفاصيل التي تعنى بالمحافظة على البيئة وكل ما يرتبط بها، حيث حدد المعرض الذي جاء جامعاً في مضمونه وحمل في مسماه عنوان «تقنيات من البيئة»، ومن هنا فقد افتتحت العناوين والدلالات التي احتضنتها صالة معارض مديرية الثقافة في الحسكة، هيكل ورسومات ومجسمات ولوحات فنية من مخلفات وبقايا الطبيعة البيئية، ولوحات إبداعية وتعبيرية أيضاً ذات مضامين ورسائل وأهداف ذات سمة محددة تدعو للتح على الحفاظ على البيئة وما تحتويه من قضايا حياتية لا يمكن العبث فيها أو الاستغناء عنها مبرزة أهميتها ودورها الرئيس بالمحافظة على الكائنات الحية التي تحتضنها تلك البيئة وما يتفرع عنها من مرفقات حياتية أخرى.

وأوضح مدير البيئة المهندس سامي إسمايل: إن المعرض ضم مجموعة من الأعمال الفنية، شارك فيها مجموعة مبدعة من الفنانين الشباب والأطفال، حيث قاموا بإعادة تدوير مخلفات البيئة ورسوماً من خلالها لوحات فنية تعبيرية بإيحائيات كلامية تهدف إلى إبراز أهمية الحفاظ عليها، بغية الوصول إلى واقع بيئي سليم، لافتاً إلى أن المديرية نفذت خلال العام الحالي العديد من الندوات التوعوية والمحاضرات البيئية، التي